المُحوانةُ الكاهن

نامق سلطان

سلسلة نون (26)

أقحوانة الكاهن

نامق سلطان

سلسة تصدر عن أتحاد أدباء العراق - فرع نينوى
رقم الايداع في المكتبه الوطنيه (189) لسنة 1995

رئيس التحرير : رعد فاضل

بأشراف : بشار عبدالله
: ثامر معيوف

الغريق 1988

القاربُ الخشبيّ العجوز
يتهادى، بعيداً
وذاك الذي اكتنفه الماء
سيعطي من أجل جمرةٍ
مدفونةٍ في الرمال
دمَهُ الساخن
سيكون له الشاطئُ
والشاطئُ الآخر المهجور
ستكون له رغبتُه
وخوفُه
وجسدُه الطافي
وتغني له بنات الحدائق
في الليل.

(1)

الصبيّةُ المرسومةُ بالفراشات

تطمئنُ اللهب

جرحها ثلج

عذابها، يمحو العذاب من الوجوه

دمعها الباردُ، تسبح فيه الطيور

سأزرع حول تمثالها

أصابع من نار

تعزف وحدتها.

(2)

الصبيّة

مخدوعةً بحرير أيامها

تشعل في خيلاءٍ ثوب الفقر

على المرتفعات

وتعقدُ أعيادا

للحشرات القاتمة البلهاء

تبعناها

حتى الشجر المهجور بأطراف العالم

حتى آخر طير مات

وكان يغني

ناديناها

لم تسمع

كانت تجلس في قلب الوقت

ترفو شيخوختها

بخيوطٍ بالية.

(3)

الثلج ...

الثلج يا امرأةً مرسومةً في الهواء

يدثّر ملامحَك الحادّةَ

ويمحو تفاصيل قلبك المضطرب

الثلج ...

صوتُك الخائفُ

المتروك في انتظار الشمس
وفي انتظار ان يصرخ
من أجل لاشيء
ومن أجل ان تلمسي الفراغ
وتضيئيه
بأصابعك الطرية
ناقصةِ الخبرة.

(4)

لأجلكِ
لأجل أشيائكِ الصغيرةِ المهملة
ستكون فحوى النار
لأجل ان تَمسّكِ مساً رقيقاً
وتشعل أسرارك
بينما وجهك الغائب
يمعن في صمتهِ
كي يضيءَ الكلام.

(1)

أنتِ
عطر الصباح البري
طراوته المحمولة من أقاصٍ بعيدة
مما قبل الولادة والموت
عندما لم تلمس الشمسُ
غير وجهك
والأنهارُ لم تبلل
غير أقدامك
عندما كانت الأشياء طاهرة
كأنها في حضرة الله.

(2)

ربما ستغسل أمطارُ العام القادم

وجوهَنا

وأقدامَنا

نحن الخارجين من كنف الغبار

والمدن

الحاملين مراثي ليلةٍ طويلة

الى الفجر

ربما تبرعم أجسادُنا

في نهارٍ ما من آذار

وقرب نبع بارد في جبل بعيد

ربما سنولد ثانية

في وردة الثلج.

(3)

هناك

في السفح الغربي "لبيرة مكرون"

كانت الطيور تهبط من الأعلى

متحدةً بالغيم

ومازجةً صوتها برذاذ الضوء

بينما اعضاؤنا

كانت تتناثر

تحت هيمنة الفرح

الأشياء كلها

كانت مأخوذة بالرقص

حتى الحجر

وحده الجبل بلحيته البيضاء

كان يرمقنا

صامتاً.

(4)

سأطيّر رسالةً أخرى الى الخريف:

أشقاؤنا في الصمت

قلبوا كراسيهم

واقتفوا مواطئ أصواتنا في البراري

وكنا نغني

ترافقنا جوقة من رعاة

بِناياتِهم ، مبحوحةِ الصوت

كنا سنمسح آثار من سبقونا

الى موتهم

كنا سنترك أثوابنا

والعصي

وقطعاننا

على حافة الليل

كنا سنستدرج القمر البدر

الى ربوة من رخام

ثم ندلج

من دون أسمائنا.

(5)

وداع كثير

لهذه العشبة المطمئنة في نومها

على ساقية الفجر

وداع لها

لأني لاأملك ان أدفع الصيف عنها

ولاأن أفك أسار الكلام المحوّط بالسر

وداع لعينين ماطرتين ضياء نديا

على جنة الأقحوان التي أزهرت

عند شطآنها

كي تحج الفراشات اليها.

أنا

سأغني لها كلما مسّني مطر

وأشعل في الروح غصناً جديداً

وابحث في سفح "أزمر"

عن صورة نقّلتها الرياح القديمة

بين الينابيع والموت

حيث آنتبذنا معاً.

تمثال 1989

يا صبيّة ...
من تنتظرين عند هذا الباب القديم
المهجور وسط الرمال
كأنك تمثال يحرس مملكة مدفونة.

ياصبيّة ...
هل سمعتِ هاتفاً في منامك
أم لمحت برقاً
أضاء لك الطريق بين حطام الأجساد
الى طائر غريب
أحرقَت الشمسُ جناحيه لأجلك.

ياذات الشعر الموصول بالرياح

شعرك يوشك أن يبلى

عيناك المفتوحتان على الضوء

مثل سماواتٍ صافيةٍ

تكادان أن تعتما

ساقاك القائمتان على صدر الأرض

كعمودين من الحليب

ستنهدمان.

ياصبيّة ...

غنّي دمًا حارًا لرطشنا

وغدًا!

نزرعك تاجًا على الحدائق.

لم يكن ذلك المساء
مساءً لوداعنا
مساءً نتوادعنا الى الأبد

مع ذلك
كانت الشفاه جافةً
والكلماتُ تنفرط حرفاً بعد آخر
كخرز المسبحة.

أي صديقي القديم
أيها المحول بجمع الهواء في حقيبته
والسفرِ الى صباحٍ أصطناعي
باحثاً عن رغباته التي تبعثرت
بين الورق والدخان
أننا ما زلنا في المكان ذاته
حاملين الأسماءَ ذاتها التي
نودينا بها كثيراً
حين آستُدرِجْنا الى المصائد
يا صديق الثرات الكثيرة
الأشياءُ باقية كما كانت

سوى أن الدروب التفّت على بعضها

ورائحةَ الوقت

صارت أقرب الى رائحة الطلقة

التي تفاجئك

من مكانٍ قريبٍ

وآمن.

ـــــ الى ستار الشيخ ـــــ 1994/2/21

كم كان رائعاً نهار البارحة

كان الهواء طرياً كأصابعه

والشمس تحتضن الأرض كأم دافئة

لذلك ، آثرت أن أمشي لساعات

تحت السماء الصافية

عابراً الجسر العتيق

متأملاً تلك البيوت المسترخية على النهر

ثم ماراً بسوق السراي

والشوارعِ المكتظةِ بالألوان

تلك الأماكن التي يعرفها جيداً

الشوارعُ هادئة ، عيونُ الناس ، أصواتُهم

كلّ شيء كان هادئاً ، وجميلاً

حتى ليَبدو مستحيلاً

أن يموت أحد في ذلك النهار

مع ذلك

ماتْ

كم كان رائعاً نهار البارحة

قبل أن يموت .

الشجره 1989

الكلامُ ميت
لولا أنكِ فجأةً
ولدت بيننا
ورأيتكِ تكبرين:

في الأعلى
الأغصان مبسوطة
من أجل العصافير وغنائها
الفضاء مفتوح كله للكتابة
ورأيتك تكتبين بغصنٍ غضٍّ
وفكرة غامضة
والحروف تنمو مثل البراعم.

تحتها:
مسلّة الملائكة اللابسين حقلاً
من الأقحوان

المنشدين النشيد ذاته
الذي يصل الروحَ بأول لحظة
أطلَقَتِ الشهوةَ في الطين
وروّضَت النار.
كان الرمل يرصد البحر
والغيمةُ ترقب الطرقَ الضيقة
في الغابات
كانت الأشياء مشدودة اليكِ
وانتِ تكشفين عن حلم غابر
تحت صهيل البرق الوحشي
ونداءات الريح
كانت خيول مجنحة تجرح الغيم.

تحتها:
أعمدة النور تزيّن ثوب العشب
باقدام تتفتح مثل زهور الماء
وتمنح طفل الليل
المستور باوهام طفولته

قنديلاً من ذهب
كي يعبر خيط الفجر الموثوق الى ضفة أخرى
نانيةٍ ، وغريبة

حيث نعاس الأنثى
يسفح فوق سويعات الصبح الأولى
خمرتَه

وأميراتُ الثلج
يقمن حقولاً للرقص
ويراقصن الضوء.

صورة تذكارية 1995

هل كان ذلك بعد انحسار الخيول
أو قبل خروج الأناث من الماء؟
... لا أتذكرّ ...

غير أني وجدت نفسي في منخفضٍ
وثمة كتل هائلة من الحديد تنقضّ علي
صرختُ بالمجاذيف:
تشبّثي باصابعه يامجاذيفُ
تمسّكي جيداً بأقدامه ياأرضُ
تحصّني برهافته ياعواصفُ
يا فزعُ
يا جنونُ ...

وما هي الا لحظة
واذا بالأرض تفلت من تحتنا
وأشلاؤنا تتطاير مثل الذباب
هل كان ذلك قبل هطول المراثي على الكون
أو بعد ابتكار الخراب
..... لا أتذكرّ ...

قصائد جبليه أخرى 1989

(1)

لأجل من
أقمتُ في الكلام قريةً
وعلقتُ فوقها شمسًا
من صباح الغابات؟
وأنتِ تقيمين في علوّ شاهق
من الماس
تقيمين في أنوثة الأشجار
قبل أن يضللها المساءُ المبكر الطاغي
ويودعها في الغياب .

(2)

الكلامُ

كلامُ الحجر

كلام يشير الى قسوة الموت

يمسح الضباب عن وجه الجبل

ويكسر عزلته بين السهول

كلامُ امرأة

تشعل نار غنائها الدامي

في السفح المقابل للخريف

حيث بحثنا كثيرًا في ذاكرة الناي

بحثنا عن جذر طريّ

يقربنا من سماء صبيّة

تضيء ثمارُها ليل كوكبنا الاعمى

وترعى طواويسَها بين النجوم

حتى كأن عطارد يولد منها

يتلو علينا حوادثه القادمات

كأن الغيم

نهداها الخارجان من الماء

مثل موجتين مجنونتين

تروضان العواصف

وتوقظان الدم في السنابل

وهي تمضي الى الحصاد.

(3)

الى الجبل البعيد

المضبب

والعالي علوّ حلم مقدس مقتول

اطلقتُ رغبتي امامي ....

الهواء يصفر

الهواء يحكي حكاية لاتنتهي

وآلاف المرات، يصعد ثم يهبط

باحثاً في الصخور عن عِرْقٍ حيّ

كي يكتبها

قبل ان يبددها الجفاف.

الممراتُ ضيقة ، ومحصنة بالغبار

وليس ثمة من يحدس أوجاع الطفل المشتّت

في أخطائه

كي يلمّه من الكتابة.

تذكّرها

وهي تفتح كفيها تحت الصواعق

بينما كان يركض في خوفها

عابثاً بضراعتها

ورمادِ الصدفةِ

والنرجس

كان يصعد نحو سماوات تلمع كالفضة

حين اشتعلت فيه خيول متوحشة

وأشعلت الليل

وكان سيخرج مكشوف الصدر

أمام نساء ينشدن له

ويضمخن فتوته بانوثتهن

لولا أن أدركه الموت سريعا

فعاد وحيداً دون بطولات.

موسيقى ـــــــــ 1995

موسيقى
لأشجار الخريف
للغيوم الهاربة بعيداً عن الحقول
لضَلال الشوارع
للقلب الذي ينبض في الأصابع
إذ لم يعد هناك ما يُحتفى به
غير موسيقى
لآنتصاف الوقت
ما بين الخيبةِ والحلم
للدمية المجروحة بقسوةٍ في روحِها
وها هي تحاول أن ترقص
مثل موسيقى شجرٍ ورياح
موسيقى طبولٍ وعواصف
وفراشاتٍ عالية في سماء الرقص.

موسيقى
لملائكة بأجنحة عظيمة من الضوء

كي تحلّق عالياً هي الأخرى

وبكل ما تملك من الجمال

ستمنح للوقت ربيعاً

وللصبية زوجاً

تلك التي تركض نحو كهولتها

دونما حكمة

دون مشيئة

دون رغبة في الوقوف، أو الوصول

ولسوف تعبر آخر بساتينها

ثم تسعل صور الذين تمنّتهم

.....

وتموت .....

أقحوانة الكاهن ـــــ 1988

بعيني نجمةٍ تطلّ على العالم
وترى كل شيء
سيتلو نشيده القديم
وقد غدت الألفة بينهما
أكثر مما بين طريدةٍ وصيادها:

أشدّ اخضراراً من الآس
هذه الحشرات الضئيلة
المضيئةُ في هواء الغرف
المحلقةُ في أوهام الطفل
الذي أوقف أغانيه على الضوء
وها هي ترقص حوله فاضحةً خفاياه.
وأبعد كثيرا
من رغبة الضوء في اجتياز القنديل
حمّى التعاويذ في التصاقها بالجسد
وقد بدأت براعمُه تنمو تحت الجفاف.

ما كان لغير الرمال
أن ترعى طفولة الألوان في النسق
ولا لغير الشهوةِ
أن تشعل الشفاه المفتوحة للفجر.

خارج الوقت
هذا المكان المحميّ بقبرات أثيرية
والمعلقُ كالحلم فوق جثة العالم
سيفتح ابوابه للكلام
حتى لَتنهمرَ التمتماتُ المجنونةُ
لأول حيوان أضاءه الخمرُ
فشقّ جسدَه مثل رمانةٍ
وتفشى في الأشياء فاتقًا جواهرَها
عن الأناثِ والليل.

خارج الوقت

الأقحوانة الهاربة من رائحة الأسفلت والحدائق

تبحث عن عزلتها

في الزغب المبلل لساق امرأة سمراء

مغمورة بالعشب.

خارج الوقت

الطفلُ ماء تانه ، موغل في حيرته

بين الأم والضفاف

وبعيداً عن أقرانه

يعيد للمرة الألف ترتيب أحلامه

تحت قوس الغيوم المنحني عليه.

سيسمي هذه الأقحوانة:

عاشقاً ينحني على لحظة انفصاله عن التراب

سيسميها: ناراً

ثم يوقدها في مساءٍ ميت
ويدعو أسلافه
ليُشهِدَهم أنه مازال مرتهنا
في ارتباك الحروف .

الجدار الرطب ينزّ رائحةَ امرأةٍ
ذاتِ رغبة معاندة
وقلبها مغمور بالدخان
بينما قلب العصفور الغائب في الظل
مرتجف في الأصابع.

ثمة ما يجعل الحبر ينحل في الكتب
والفكرةَ تَعْلق في زاوية معتمة
بين العنكبوت والسخام
ثمة في هذا المساء .....
الأرضُ محمومة في سريرها

والبلاط الرخامي البارد يصعد اليها
ثمة في هذا المساء ، مساء آخر
مشبع برائحة امرأة خارجة لتوها من الغابات
تلتف على ساقيها نباتات متوحشة
ويداعب حلمتيها منقار مفترس
وكأنها تتأهب للزواج من النـــار.

الطفل ذاته
مجبولاً بغمـوض نقوش قديمـة
يحصي خطوات الشمس بين الخرائب
او يخمن التفاصيل الدقيقة
لعروج الروح بين العناصر والأسماء
وها هو يخفي تحت رائحة الطين المشوي
قلائد أخطائه
كي يؤلف بين الكتابة والمحو
وها هو يبحث عن فاتحة لنشيده
كي يهرب الى صباح منسيّ ، وبعيـد

حيث امرأة الغابات تجر ذنابها خلفها

وتقيم ممالكها في الجانب المعتم من النهر.

الأقحوانة

هي الأخرى منسية

بين الحجر المهدّم لبئر قديمة

وقريباً من الممر الرخامي المغطى بنباتات شرسة

تحاول ان تتذكر

وعينها على الباب.

(الى الروح الخالدة "نيتشة")

يا أحمق !

لماذا سكبتَ الماء البارد على الزيت

وهو يغلي

فافزعت الخفافيش ....

قال له:

ارجع الى المختبر

وأعد التجربة ثلاثين مرة

بل أعدها حتى تتقيأ

بل أعدها حتى تعود الخفافيش الى جحورها

ولاتتذمر

لا تكتب أسمك على الجدران في صيغة الذكرى

ولا تكاتب أحدا من صحبك

حتى وان رشقوا نوافذ غرفتك بالورود ،

أو الشتائم

لاتعلق على الباب قنديلاً

ولا تتذكر أي امرأة

حتى أولئك اللواتي رأيتهن في الصحف

والأفلام

ثم قشّر الوقت دقيقةً ،،، دقيقةً

وعدّهن دون أن تخطيء

واذا أخطأت

فقشّر الوقت ثانيةً ،،، ثانيةً

وعدّهن دون أن تخطيء

واذا أخطأت

فأعد الوقت الى مكانه

وإياك ان تتذكر غير أخطائك

.... يا خائب

قال له:

بياضُ عينيك لم يَحمَرَّ بعد

وشعرك ما زال أسود

اذن : لن أشتري لك ساعةً كما وعدتك

ولن أترك لك في الغرفة فراشاً ، أو وسادةً

حتى لاتعود قادراً على جمع واحدين

واياك أن تدندن أي أغنية

كي لاتزعج الخفافيش

فصوتك ما زال عذباً

وروحك ما زالت طريةً

يمكن أن تنبت عشبًا ، ووردًا بريًا ، وأشجاراً

وربما صرتَ حديقةً

وجاءتك فراشات ضالة

وربما صرتَ بستاناً ، أو بحيرةً

وجاءتك العصافيرُ ، والنحلُ ، وطيور الماء

وربما هبطَتِ الشمسُ قربك

وزارك القمرُ خِلسةً

عندها

ستهدي كلامًا جميلاً يفسد الخلق

لذلك

سألغي شبابيك غرفتك

ولن أدع ضوءا يصل اليك

وكي لاتموت من الضجر

وربما صرختَ ، فأفزعتَ الخفافيشَ مرة أخرى

سأعلق فوقك مصابيح من كل لون

وعليك أن تتوهم أنها كواكب ، أو نجوم

واياك أن تظن أنها مصابيح كهربائية

والا حرمتك من الورق الذي تشخبط عليه اوهامك

... يا أخرق

قال له :

اقرأ تعاليمي التي علقتها في كل مكان

تصل اليه

بل احفظها

فليس لغير هذا علمتك القراءة والكتابة

وأغدقت عليك الحبر والاقلام

احفظها جيدا

فهي منجاتك مني حين أغضب

بل هي منجاتك من نفسك

حين تدعوك الى الرقص

بل هي حصنك من الجنون الذي يتسرب اليك

في القصائد والألوان

احفظها

وآنس القوانين المائعة التي تعلمتَها في الكتب

انس خرافات الكيمياء،

وطلاسم الجبر،

وهرطقات المنطق ...

بل آنس الكتب كلها

والا سلطتِ عليك العثَ والفئران

أجدادي ، هم الذين هتكوا سُتُرَ الغيب

وكسروا أمواج المعرفةِ العاتية التي أغرقتْ

مَن سواهم

وليس هناك من مفاتيح لأبواب جناتهم

الا تعاليمي التي ستحفظها مرغماً

وان لم تفعل

سأحقن رأسك بالبعوض ، وأدشّرك في الشوارع

فلا تعود تسمع شيئاً غير الطنين

... يا أهبل

قال له:

أنتَ رماد لذتي

فلك ما تريد من رياح الصيف

لك ما تريد من دوران البغل على الناعور

لك من القطيع نتن الحظيرة

لك كل ما تريد من القلق

بل ، لك القلق كله

والخوف كله

لك من الأحمال الكتفُ التي تتهدم تحتها

ومن العصي الظهرُ الذي يجلد

لك كل ذلك

وبعد ...

وبعد ...

لك أن تركض ليل نهار

لا لشيء

الا لتسكب الماء البارد على الزيت

وهو يغلي

دون أن تفزع الخفافيش .... ياأحمق

النصوص

1- الغريق	3
2- صبايا	4
3- قصاند جبلية	7
4- تمثال	12
5- فتور	14
6- الى ستار الشيخ	16
7- الشجرة	17
8- صورة تذكارية	20
9- قصاند جبلية أخرى	21
10- موسيقى	25
11- أقحوانة الكاهن	27
12- المحنه	33

طبع في المكتب الاستشاري لتنمية المعلومات والحاسبات
جامعة الدوحة

سلسلة نون (26)

الغلاف : لوثر آيشو